

التصويرية السردية التيار المناهض للمنظومة

حركة تميزت بالثورة على الفنون السائدة ونقد مجتمع الاستهلاك

التصويرية السردية هي تيار فني ظهر في مطلع الستينات بفرنسا، في إطار العودة إلى التصويرية ومعارضة التجريدية والحركات المعاصرة كالواقعية الجديدة والبوب آرت. وقد تميّزت الحركة بالثورة على الفنون السائدة والالتزام السياسي.

أبو بكر العبادي
كاتب تونسبي



التصويرية السردية التي ظهرت في فرنسا في مطلع الستينات لم تتأسس وفق مايفستو يوخذ بينها ويستعرض غاياتها، بل كان أعضاؤها يلتقون في رغبة مشتركة ألا وهي العودة إلى الفن كسردية، أيًا ما تكن بساطته والتزامه، وقد اتخذت أعمالهم طابعا سياسيا ومجتمعيا في بلد كان يعيش هزات حرب الجزائر وحرب فيتنام وأزمة مايو 1968، ولم يكن كل واحد منهم مطالبًا بعبر تقديم ميثولوجياته الشخصية. تشكلت الحركة يوم نظر لها الناقد جيرالد غاسيو طالابو بمناسبة معرض "ميثولوجيات يومية" أقيم في متحف الفن المعاصر بمدينة باريس في يوليو 1964، شارك فيه أربعة وثلاثون فنانا أدرجوا في ما بعد تحت لافتة "التصويرية السردية"، وكان في مقدمتهم برنار رانسياك، وهيرفي تيليامك.

حركة الحياة الثمينة

جاء في تقديم الناقد الذي أدان بشدة زحف المدرسة الأميركية بدعم من عدة أروقة فرنسية، أن الحركة "تريد تصوير واقع يومي ما انفك يتعقد، واستعراض الأشياء التي تقدّسها حضارة تميل إلى عبادة المواد الاستهلاكية، وفضح الحركات العنيفة لنظام قائم على القوة والحيلة، والتحركات والإنذارات التي تصدم يوميا الإنسان المعاصر".

الفن عند أنصار التصويرية السردية عليه أن يكون ملتزما بقضايا المجتمع، ينقل معيشته اليومي وينبه إلى مخاطر الحداثة

ويوضح البيان أن الفنانين المجتمعيين قادمون من أفاق تشكييلية مختلفة، ولا علاقة بينهم إلا من خلال مجموعات صغيرة، ولكنهم يحملون معا معنى "حركة الحياة الثمينة"، وهو ما يميزهم عن السخرية الجامدة للبوب الأميركي، كما يقول غاسيو طالابو.

نلك أنهم عارضوا البوب آرت الأميركي بدعوى أنهم فائقو الشكلية والهيمنة، مستهينون بالصراعات السياسية التي تشهدها المرحلة، قلبو النقد لمجتمع الاستهلاك، رغم أن أنصار التصويرية السردية يستعملون أحيانا تعابير شكلية مماثلة.

وفي تصورهم أن الفن لا يمكن أن يكون ساخرا، على غرار الأميركي، ولا أن يتجنب الواقع، كما هو الشأن مع التجريديين، بل أن يكون ملتزما بقضايا المجتمع، ينقل معيشته اليومي، وينبه إلى مخاطر الحداثة، وتجاوزات السلطة التي تفرض على الفرد تصوراتها ويرامجها.

فقد كانوا مناضلين في وجه من الوجوه، لا يعتقدون أن للفنان دورا في المجتمع لا بد أن ينهض به، رغم أن رسالتهم لم تلق الاستجابة المنشودة، بل إن بعض النقاد مثل بيير ريسانتي (راعي الواقعية الجديدة) وصفهم بـ"السترات السوداء" وهي مجموعة روك كان لها حضور بارز في الخمسينات.

ظهرت هذه الحركة، التي أعادت السردية إلى الفن بعد اختفائها من الفن المعاصر، في فترة متقلبة حتى في المجال الفني، فمُنذ نهاية الخمسينات صارت مدرسة باريس محل انتقاد من الواقعيين الجدد، الذين كانوا يريون فنا منبثقا من هذا العالم الجديد الذي بدأ يعرف بمجتمع الاستهلاك.

التلمل نفسه حدث في نيويورك حيث تهيمن التعبيرية التجريدية، عن طريق خلط الأجناس لدى روبرت روشنبيرغ، والصقل بالشمع عند جاسبر جونس إضافة إلى أعمال محايدة جعلت علم الولايات المتحدة وخطرتها هدفا لها.

ومن تلك الإرهاصات التي عرفت وقتها بالدادائية الجديدة، تم الانتقال بسرعة إلى البوب: بوب نيويورك لدى أندري وارول، وروي ليشنتشتاين، وجيس روزنكويسست، وبوب بريطاني لدى ريتشارد هاملتون، وبيتر بلاك أو ديفيد هوكني.

أي أن التصويرية السردية وجدت في وقت كانت الواقعية الجديدة والبوب آرت تتصدران الواجبة، رغم أنها لا تلتقي معهما إلا في رفض الفن على طريقة مدرسة باريس أو نيويورك. بل إن المنتسبين إليها أنفسهم كانوا منقسمين إلى فريقين، فريق نواة التأسيس للميثولوجيات اليومية

ويرجع إلى حالة الاندماج والتواصل بين التشكييليين العرب بمختلف مدارسهم وبلدانهم.

وأضافت أن الحركة التشكييلية العربية ستكون أكثر قربا من الحركة

التي تجمع الفنانة التشكييلية السعودية خديجة توفيق حسن مقدم بين فن الرسم والتأليف القصصي، الأمر الذي يجعل أفكارها سواء التي ترسمها بالفرشاة على القماش البيضاء أو تلك التي تخطها بين دفتي كتاب مجنحة وطائرة متحررة من "عقدة العيب والتقاليد" حيث تعتبر أن هذه العقدة مكبلة لعملية الخلق الإبداعي.

حجاج سلامة

الرياض - قالت الفنانة التشكييلية السعودية خديجة توفيق حسن مقدم، إن الفنانة التشكييلية العربية يرسمن بعفوية ويظهرن مشاعرهن بدقة وصدق في أعمالهن الفنية، مشددة على أن "الفن ليس له جسد" وأنه لا يوجد ما يمكن أن يطلق عليه فن ذكوري أو فن نسوي، مطالبة بتحرر الحركة التشكييلية العربية من "عقدة العيب والتقاليد". وتؤكد خديجة أن الفنانة التشكييلية تميزت باهتمامها بأدواتهن الفنية، وبالألوان أكثر من الفنانين الرجال، وهي أمور من طبيعة المرأة. ورات أن الفنانين التشكييليين الرجال يتفردون برسم التفاصيل الدقيقة في أعمالهم الفنية خاصة حينما يرسمون المرأة، أو عند تجسيد المنازل والشوارع بأعمالهم.

وحول رؤيتها لحاضر ومستقبل الحركة التشكييلية العربية، قالت مقدم إن حاضر الحركة التشكييلية العربية بدأ يشق طريقه نحو النجاح، وأن ذلك



نقد لاندع الأنظمة الرأسمالية



لوحات تسرد واقعا يوميا ما انفك يتعقد

فرنسا، ويضم خمسين لوحة تدين سياسة الحكومة. والخلاصة أن التصويرية السردية الجديدة لأنه يعتبر سردا كل أثر يجعل مرجعيته تمثلا على مدة طويلة، إما عبر نقل أشياء داخل القماشية، أو عبر مقاطع حتى وإن كانت في شكل ملصق الأوجه، ويعمل في الغالب على أن يعيد للفن وظيفة سياسية وتقدية لمجتمع الاستهلاك.

ومن بين مصادر إلهامه في التأطير والتركيب، نذكر الأشرطة المصورة والسينما والتصوير الشمسي والإعلانات الإشهارية، وكل ما يمثل صورة عن المعيش اليومي، فالثيمات غالبا ما تكون مرتبطة بمشاهد الحياة اليومية وبالمطالب الاجتماعية والسياسية.

أما من جهة المصطلح فلنكون أتباع هذا التيار يعتقدون بأنهم إنما يسردون من خلال أعمالهم وقائع الحياة اليومية، في شتى مظهراتها، فالفن من وجهة نظر أروبو مثلا "هو نوع من الأدب، فيه بداية وخاتمة وشخصيات وعقدة كما في الروايات، إذن فهي سرديّة، وكان من خلال أعمالها كتبت خمس عشرة رواية".



عالم معقد ومتسارع

ففي ظرف بلغت فيه الحرب الباردة ودخلت الولايات المتحدة في حرب ضد فيتنام، وثار السود الأميركيون للحصول على حقوقهم المدنية، ورفض سارتر جائزة نوبل لكونها مخصصة لبلدان العالم الرأسمالي، كان الالتزام السياسي هو السبب الذي يقود التصويرية السردية.

وفي مطلع 1965، شهد صالون الفن الشبابي تحولاً راديكالياً بوصول أروبو وهنري كويكو إلى الهيئة المديرة، إذ جعلت الحركة في نشرتها مفهومها للفن وسيلة للصراع الأيديولوجي، وأعلنت عن مشاركات قادة لفنانين من الصين وكوبا والجزائر والاتحاد السوفيتي، وسرعان ما وجهت سهامها للفن الطلائعي، وإلصقا لها الأبريز مارسيل دوشامب، وكذلك الهيمنة الأميركية.

وقد أحدث أروبو، وجيل أيو، والإيطالي أنطونيو ريكالكاتي فضيحة بثشهرهم عملا مشتركا بعنوان "عش ودعه يموت أو الموت الماساوي لمارسيل دوشامب"، وهو عبارة عن ثمانين لوحات تمثل قتل دوشامب رمزيا تعبيراً عن معادتهم للفن الذي دعا إليه هذا الفنان الطلائعي، "رمز التحريف الفكري والثقافة البورجوازية التي تحذر

وعلى رأسه رانسياك، وتيليامك، وفريق المتقلبين على صالون الفن الشبابي، وفي مقدمته الإسباني الهارب من نظام فرانكو إدواردو أروبو.

وقد سموا كذلك لأنهم طردوا من لجنة الفرز فيه الفنانين التصويريين المعتدلين، وجعلوا اختيارهم قائمة على معايير سياسية، فقد كانوا كلهم من اليسار المتطرف، فأروبو مثلا كان يرى أن أهم شيء هو إخضاع الفن للمشاكل الأيديولوجية عوض الاعتبارات الجمالية، بل إن بيير بوراليو، أحد الانقلابيين، رفع قضية أيديولوجية ضد بيير سولاج، بدعوى أن لوحاته ليست تصويرية ولا ملتزمة.

قتل دوشامب

في صيف 1964، أي عقب المعرض الذي أقيم في باريس، كان أروبو، والإيطالي ليوناردو كريمونيني، والأيسلندي غومندور غومندسون الشهير بإيرو، والفرنسي جان جاك لوبيل من بين المشاركين في معرض "الفن والثورة الجزائرية" في الجزائر العاصمة، وقد شكلت أعمالهم نواة متحف الفن المعاصر بالجزائر.

فنانة سعودية تدعو إلى تحرير الرسم العربي من عقدة العيب



خديجة توفيق حسن مقدم
التشكييليات تميزت باهتمامها بالألوان أكثر من الفنانين الرجال

تعبيرية مبنية على الخطوط المتشابكة والمتداخلة مع الألوان الداكنة، لتحقق عنصر الفراغ من خلال توزيع وتنظيم الألوان وكثافتها لتعبر عن جمالية الرداء التراثي الخليجي.

يذكر أن الفنانة التشكييلية السعودية، خديجة حسن كانت قد درست الجغرافيا والتاريخ في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، وحصلت على درجة الماجستير في الفنون من كلية سيتي أند غيلز من لندن، وهي عضوة بجمعية الفنانين البريطانيين، وجمعية الثقافة والفنون بالملكة العربية السعودية، وغيرها من الروابط والجمعيات التشكييلية.

واقامت خديجة حسن بعض المعارض الفنية الشخصية داخل السعودية، بجانب المشاركة بمعارض في سويسرا، ولندن، والبحرين، واليمن، واليونان، ومصر وفرنسا.

وتعد الفنانة خديجة توفيق حسن مقدم كاتبة وقاصة ولها مجموعات قصصية، بجانب كتاب حول العادات والتقاليد في المملكة العربية السعودية.

الاعتماد على عائد بيع أعمالهم الفنية في توفير مستلزمات واحتياجات حياتهم. وحول موضوعات ومفردات لوحاتها، قالت خديجة إنها تستلهم موضوعاتها من التراث، وإن من مفرداتها التشكييلية البحر والخيل اللذان يجسدان لديها رمزا للحرية والجموح نحو عوالم أرحب، وأنها ترسم المرأة من زاوية ونظرة خاصة، كما ترسم الرجل إذا أحببت شخصيته.

وتستند خديجة توفيق حسن مقدم في بعض لوحاتها إلى أجواء



في جمالية الرداء التراثي الخليجي



صيحة حرية



جموح إلى عالم أرحب